مِسْك الختام لشهر الصّيام

2022-04-29

الحمد لله مقدِّر المقدور، ومصرِّف الأيّام والشّهور، ومُفني الأعوام والدّهور، ومضاعِف الثواب لِمَن أطاعه والأجور، وغافر الذنب لِمَن تاب إليه من الفجور، ((الذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)). نحمده تبارك وتعالى أنْ هدانا لصيام رمضان، ونشكره سبحانه أنْ أنعم علينا في أثنائه بالقيام وتلاوة القرءان، فله الحمد على أن هدانا لهذا. وما كنّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله الحنّان المنّان، والذي نرجوا منه القَبول والرضى والغفران. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له. جعل لكل أجَلٍ كتابا. ولكل عمل حسابا. أهلّ علينا شهرَ رمضان لِيُفيضَ فيه إحسانًا. ويغفِرَ فيه عِصيانًا. ويُضاعِفَ فيه أعمالاً. ثم حَكَمَ بانقضائه ورحيله. ليدلَّنا بذلك أنّ لكلّ نازل رحيلا وانتقالا. وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبد الله ورسوله. وصفيّه من خلقه وخليله، خَيْرُ مَنْ عَرَفَ حَقَّ شهر رَمَضَانَ، وختمه بمزيدٍ من الطاعة والتّقرّب إلى الرحيم الرحمان. وأَدَامَ الصِّلَةَ بِرَبِّ العَالَمِينَ، وَعَبَدَ اللهَ حَتَّى أَتَاهُ اليَقِينُ،

محمّد المصطفى الهادي لسنّتِهِ * مؤيَّدٌ طاهرٌ برٌّ بأمّتِهِ

بشرى لكم وتهاني أهل ملّتِهِ * إن شئتُمُ أن تكونوا في شفاعتِهِ

صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمّد. الرسول الذي بشّرت بظهوره الكتب المنزَّلة والأخبار. والرحمة الشامل نفْعها في سائر القرون والأعصار. وعلى آله السادة الأطهار. وصحابته أئمّة الإقتداء من المهاجرين والأنصار. صلاة تعتق بها رقابنا من النار. وتنزلنا بها منازل الأبرار. وتجعلها لنا ذخيرة في هذه الدار وفي تلك الدار. يا الله يا عزيز يا غفّار. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ المِنَنِ وَأَجَلِّ النِّعَمِ، وَغَايَةِ الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ وَالكَرَمِ، أَنْ وَفَّقَنا اللهُ تعالى إِلَى طَاعَتِهِ، وَمَنَحَنا فُرْصَةً لِلسَّعْيِ إِلَى جَنَّتِهِ، بِبُلُوغِ شهر رمضان الكريم، وَهَدَانا فِيهِ إِلَى العَمَلِ الصالح وَالثَّوَابِ العَظِيمِ، فَهَنِيئًا لَنا جميعا بُلُوغُ مِسْكِ خِتَامِهِ، وَوُصُولُ المُشْرِقِ مِنْ لَيَالِيهِ وَأَيَّامِهِ، وَلْنَخْتِمْ شَهْرَنَا هذا بِالتَّوبَةِ وَالإستِغْفَارِ، فَإِنَّ الإستِغْفَارَ خِتَامُ الأَعمَالِ الصَّالِحَةِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم فِي آخِرِ

عُمُرِهِ:((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً)). وقيمةُ العملِ فِي حُسْنِ خاتِمَتِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. كما في صحيح ابن حِبّان:((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، كَالْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلاَهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلاَهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ)). وكان سيّدنا عَمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكتب إلى الأمْصَارِ يَأمُرُهُمْ بِخَتْمِ رَمَضَانَ بِالإستِغْفَارِ وَصَدَقَةِ الفِطْرِ، فإنّ صدقة الفطر طُهْرة للصائم من اللّغو والرفث. والإستغفار يرقّع ما تخرَّق من الصيام باللّغو والرفث. وَمِمَّا جَاءَ فِي كِتَابِهِ ذَلِكَ لِلنَّاسِ: قُولُوا كَمَا قَالَ أبُوكُمْ آدمُ عليه السلام. كما في سورة الأعراف:((قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)). وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عليه السلام. كما في سورة هود:((وَإِلاّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ)). وقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام. كما في سورة الشعراء:((وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)). وقولوا كما قال موسى عليه السلام. كما في سورة القصص:((رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)). وقولوا كما قال ذو النُّون عليه السلام. كما في سورة الأنبياء:((لّا إِلَهَ إِلّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ)). أَيُّهَا المُسلِمُونَ. إِنَّ لِلقَبُولِ والرِّبحِ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَلاَمَاتٍ، ولِلخَسَارَةِ والرَّدِّ أَمَارَاتٍ، وإِنَّ مِنْ عَلاَمَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ فِعلَ الحَسَنَةِ بَعْدَها، ومِنْ عَلاَمَةِ السَّيِّئةِ فِعلَ السَّيِّئةِ عَلَى إِثْرِها، وكان سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: من علامات الْقَبول للصيام والقيام أنْ يكون حال العبد بعد الصيام أفضل من حاله قبل رمضان. فَأَتْبِعُوا الحَسَناتِ بِالحَسَناتِ تَكُنْ عَلامةً عَلَى قَبُولِها، وأَتْبِعُوا السَّيِّئاتِ بِالحَسَناتِ تَكُنْ كَفَّارَةً لَها ووِقَايَةً مِنْ خَطَرِها، قَالَ جَلَّ وعَلاَ في سورة هود:((وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذلِكَ ذِكْرَى لِلذاكِرِينَ)). وقال تعالى في سورة آل عمران:((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)). وقد أكّد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى حين قال لسيّدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه:((اتّقِ اللهَ حَيثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُها، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ومُدَاوَمَةُ

المُسلِمِ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْرِها عَلَى زَمَنٍ مُعَيَّنٍ. أَوْ شَهْرٍ مَخْصُوصٍ. أَوْ مَكَانٍ فَاضِلٍ. مِنْ أَعظَمِ البَرَاهِينِ عَلَى القَبُولِ وحُسْنِ الإستِقَامَةِ، وإذَا انقَضَى مَوْسِمُ رَمَضَانَ فَإِنَّ الصِّيَامَ لاَ يَزَالُ مَشْرُوعاً فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، فَقَدْ سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمَّتِهِ إِتْبَاعَ صِيامِ رَمَضَانَ بِصِيامِ سِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ، أخرج الإمام مسلم وغيرُه عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))، وذلك لأنَّ الله تعالى يجازي على الحسنة بعشر أمثالها. فيكون صيام رمضان بعشرة أشهر. وصيام السّتّ من شوّال يعدل شهرين. فتلك سنة كاملة. يقع أجر صيامها لِمَنْ قام بصيام السّتّ المضافة إلى رمضان. وبذلك يحصل العبد على أجر صيام الدهر. أَيُّهَا المُسلِمُونَ. إعلمُوا أنَّ اللهَ سبحانَهُ قدْ شرعَ لنَا فِي ختامِ هذَا الشَّهرِ أعمالاً صالحةً. تُزَكِّي نفوسَنَا، وتُتَمِّمُ طاعتَنَا، وتَجْبُرُ نقْصَ صيامِنَا، مِنْهَا إخراج زكاة الفطر: وزكاة الفطر في الإسلام ليست مجرَّد دُرَيْهمات تُدفع للفقراء وكفى؛ بل هي طهارة. يقول الله تعالى فيها كما في سورة التوبة:((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا))، ففي صحيح البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ:((فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ)). وروى أبو داوود عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما قَالَ:((فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنْ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنْ الصَّدَقَاتِ))، فهي بمنزلة إسعاف أوّلي سريع لِمَا قد يحتاج إليه الفقير لتحقيق الفرح بالعيد، وقد أوجبها الله عز وجل على كل مسلم صغير وكبير ذكر وأنثى، وقلّل قدرَها حتى يخرجها أكبر عدد ممكن، أَيُّهَا المُسلِمُونَ. وممّا شُرِع في ختام هذا الشهر صلاةُ العيد والإستعداد لها بالإغتسال واللباس الجديد: إن أمكن. فقد روى الترمذي أنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((إِنَّ هَذَا يَوْمٌ جَعَلَهُ اللَّهُ عِيدًا لِلْمُسْلِمِينَ. فَاغْتَسِلُوا وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طِيبٌ فَلاَ يَضُرَّهُ أَنْ يَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: كان رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحثّ بالتّجمّل بالثياب

الحسنة في العيد. وروى الإمام مالك في الموطأ:((أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطرِ قبل أن يغدو إلى المصلّى))، وروى الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال:((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيدين أن نلبس أَجْود ما نجد، وأن نتطيَّب بأجْود ما نجد)). فتأهّبوا رحمكم الله لإقامتها في وقتها. على سنّتها وهيئتها. كما يستحبّ أكل تمراتٍ وِتْرا قبل الخروج إلى الصلاة، وذلك إيذانا بأنّ اليوم يوم العيد يحرم فيه الصيام؛ ففي البخاري عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ:((كانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يَغْدُو يومَ الفِطْرِ حتى يأكُلَ تَمَرَاتٍ))، وقالَ مُرَجَّأُ بنُ رَجَاءٍ، حدَّثني عُبيدُ اللهِ، قالَ: حدَّثني أنسٌ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ:((ويَأْكُلُهُنَّ وِتْراً)). كما يستحب أن يخرج المسلم لأداء صلاة العيد ماشيا. والعودة من غير الطريق التي أتى منها، والإكثار من التكبير، فيكبّر المسلم عند خروجه إلى المسجد، ويجهر بالتكبير تعظيما لله تعالى، ويستمرّ التكبير حتى مجيء الإمام. عندها ينتهي التكبير. قال تعالى في سورة البقرة:((وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))، وليكن العيد فرصة للتحابب والتسامح. والتقارب والتعاون على البر والتقوى. عملا بالوصية الخالدة التي أوصانا بها نبيّ الرحمة. صلى الله عليه وسلم. فهو القائل:((لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)). أخرجه البخاري. أيّها المسلمون. لَقَدْ تَوَسَّطَ آيَاتِ الصَّومِ الحَضُّ عَلَى الدُّعَاءِ، قَالَ تَعَالَى في سورة البقرة:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِيَ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))، فَلْيَكُنِ الدُّعَاءُ، وَرَفْعُ أَكُفِّ الضَّرَاعَةِ إِلَى اللهِ، بِالقَبُولِ والغُفْرَانِ، والفَوْزِ والرِّضْوَانِ، خَيْرَ مَا نَخْتِمُ بِهِ شَهْرَنَا الكَرِيمَ،اللهم إنّا نتوسّل إليك بأوْجَه الشفعاء لديك. وأكرم مَنْ أُقْسِم بحقّه عليك. نبيّك الطاهر النّسب. الكريم الحسب. خير العجم والعرب. سيّدنا ومولانا محمّد بن عبد الله بن عبد المطلّب. صلى الله عليه وسلم. فنسألك اللهم ببلاغه عنك. وقربه منك. وجاهه المقبول لديك. وحقّه الذي لا يخيب مَنْ توسّل به إليك. أن تتقبّل دعاءنا. وتسمع نداءنا. وتصِلْ رجاءنا. برحمتك يا أرحم الراحين. اللهم أختم لنا شهر رمضان بالعفو والغفران. واجمعنا على طاعتك في مواطن الإيمان. وتغمّدنا منك بالفضل والإحسان. إنّك أكرم مستجار

وأفضل مستعان. اللهم تقبّل صيامنا وقيامنا. وزكاتنا وسائر أعمالنا، واجعلها خالصة لوجهك الكريم، اللهم اجعل شهر رمضان شاهدا لنا لا علينا. اللهم إيّاك نسأل فلا تخيّبنا. وببابك نقف فلا تطردنا. وبنبيّك صلى الله عليه وسلم نتشفّع فاقبلنا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. اهـ